

## تنوع في النباتات والعسل: دراسة جديدة توثق ١٦٠ زهرة برية عاسلة في لبنان

### انور عقل ضو

«دليل أزهار لبنان البرية العاسلة» عنوان دراسة للباحث عبد الناصر المصري عضو اللجنة الفنية العليا لتربية النحل في لبنان، صدرت في كتاب يمكن اعتباره مرجعا علميا لمربي النحل في لبنان ومنطقة البحر الابيض المتوسط ولطالبي العلم والمعرفة والمهتمين بالنظم الايكولوجية في العالم والنحل وبيئته بعض مكوناتها الرئيسية. مئة وستون زهرة برية عاسلة جاء توثيقها ليكرس مفاهيم جديدة في عالم تربية النحل، من خلال دراسة نموذجية عن أزهار مناطق المناخ المتوسطي والفوائد الطبية لعسل بعض أنواع الأزهار، خصوصا أن المصري لم يستند الى اختصاصه الجامعي في الجغرافيا الطبيعية فحسب، بل الى تجربة ميدانية نافت على الثلاثين عاماً في تربية النحل وإنتاج العسل، المصري عضو ايضا في الجمعية المتحدة لتعاونيات مربي النحل في لبنان، وقدم الكتاب رئيس المجلس الوطني للبحوث العلمية في لبنان البروفسور جورج طعمة الذي كان في الوقت عينه موجهاً للمصري في رحلة البحث الشاقة في أحراج لبنان وغاباته ومناطقه النائية، فضلاً عن أن الدراسة هي ثمرة جهد ثماني سنوات متواصلة استندت إلى الخبرة الميدانية والعلم وتكاملت بهما لتغني مكتبتنا العربية في ميدان البحث العلمي.

### البيئة المحفزة

حول الدافع الذي كان وراء رحلة البحث والاستكشاف، يقول المصري لـ«السفير»، «ولدت في بيئة ريفية ومثالية لتربية النحل، وحب المعرفة حفزني دائما على الاستكشاف في ميدان تربية النحل الذي أتقنته منذ كان عمري ست عشرة سنة، خصوصا في ظل الظروف البيئية التي نعيش فيها، لذلك، ركزت اهتمامي على معرفة مصادر العسل اللبناني ضمن نطاق البيئة التي أعمل فيها، ومن ثم على نطاق لبنان عامة، بمعنى البحث عن مصادر العسل اللبناني الحقيقية.» صدر الكتاب كجزء أول، وقد بدأ المصري مرحلة التحضير للجزء الثاني والهدف منه استكمال الجزء الاول، لجهة مواصلة توثيق الأزهار العاسلة في لبنان، فضلاً عن كم جديد من المعلومات حول تربية النحل التي تتلاءم مع بيئتنا اللبنانية والمتوسطة. وحول وجود انواع من الأزهار الحقيقية التي لم تعد موجودة أو أصبحت مهددة بالانقراض يقول المصري «لا أدعي حق الاجابة عن هذا السؤال، الامر يحتاج الى عمل أوسع وأشمل مع علماء نبات، لكن بالتأكيد ثمة متغيرات كثيرة طاولت أنواعا كثيرة من الأزهار العاسلة على مستوى انتشارها وبيئتها.»

### التوثيق والتسمية

وثق الكتاب الأزهار والنباتات الحقيقية بأسمائها العلمية ايضاً، ويشرح المصري: «في البداية كان هدفي مع اكتشاف الأزهار تحديد أسمائها الأكثر تداولاً على صعيد لبنان، لكنني فوجئت بأن كل زهرة معروفة تحت مسميات كثيرة تختلف بين منطقة واخرى بالرغم من مساحة لبنان الصغيرة، وهذا عامل سلبي في لغة التخاطب والتفاهم بين مربي النحل في ما بينهم وبين مربي النحل والناس، هنا كان لا بد من توحيد التسمية، وحسمت خياراتي بانتقاء اسم واحد من أهم مرجع حالياً، هو موسوعة البروفسور جورج طعمة حول أزهار ونباتات لبنان البرية، واعتمدته نهائياً ليكون مرجعا اخيراً لاسم هذه الزهرة او تلك، من هنا جاءت الصورة الملونة والواضحة لتكون عاملاً حاسماً في هذا

المجال.»

ان ثمة دراسات موثقة عن نباتات لبنان ومنطقة البحر الابيض المتوسط صدر بعضها في السنوات الماضية، فما الذي ميز بحث المصري الجديد؟ «التجارب تكمل بعضها بعضاً، يقول المصري، أنا تناولت جانباً له علاقة بإنتاج العسل، وهو ايضاً جزء من الطبيعة وجزء من البيئة، وقد سلطت الضوء على غنى البيئة اللبنانية بالازهار، وعلى أهمية بعض الازهار. البروفسور جورج طعمة عمل على توثيق كل الازهار اللبنانية، وأنا ركزت اهتمامي فقط على الازهار والنباتات التي يكون رحيقها العسل اللبناني خاصة والعسل المتوسطي عامة.»

ويؤكد المصري على الدور الحاسم للبروفسور طعمة في عملية تصنيف هذه الازهار، وهو اذ لا يدعي انه عالم نبات، يعتبر ان دراسته أكدت ان هذه هي الزهرة التي يحصل منها النحل على العسل، والبروفسور طعمة أكد اسمها وتصنيفها العلمي.

دور مربّي النحل

هناك في لبنان الكثير من الازهار العاسلة والنادرة تحدث عنها مسكشفي بريطاني في القرن الثامن عشر، هل تأكدت منها وما اذا كان بعضها قد اندثر مع التوسع العمراني؟ يقول المصري «تمكنت من مراقبة خمسين منطقة وبقعة جغرافية في لبنان، لكن لم تشتمل الدراسة على أصناف بعينها من الازهار، يمكن في مرحلة لاحقة دراسة كل زهرة على حدة، وأي منها تسجل تراجعاً بحيث نعمد الى إكثارها ومنع انقراضها، ومثل هذه الدراسة تحتاج الى تعاون بين جهات مختلفة، كما تتطلب جهداً ميدانياً ومخبرياً وتضافر جهود كثيرة دون إغفال دور مربّي النحل لأنهم على تماس مباشر مع البيئة التي تحتضن خلايا النحل التي يربونها ويعتنون بها.»

تنوع الزهر وأنواع العسل

هل يمكن القول ان لبنان يمتاز بتنوع عسله نظراً لتنوع الازهار العاسلة فيه؟ يرى المصري ان الدول التي يشبه مناخها مناخ لبنان تتمتع ايضاً بالغطاء النباتي نفسه، لكن الاهم في هذا المجال هو موضوع على صلة بوجود مناطق عدة في لبنان تتمتع كل واحدة بمناخ مستقل تبعاً لارتفاعها عن مستوى سطح البحر. ولذلك يمكننا الحصول على عدة مواسم من العسل، وهذا يمثل أحد أهداف هذه الدراسة أو هذا الكتاب، لجهة تسليط الضوء على الفترة التي يتم فيها تخزين العسل في كل منطقة من هذه المناطق، من خلال نقل قفران (خلايا) النحل في الوقت المناسب أو حتى اللحظة المناسبة، لان فترة تخزين العسل تتراوح بين شهر وشهرين خلال السنة الواحدة، وإذا أحسنا نقل النحل من منطقة الى منطقة في الوقت المناسب يمكن ان نحصل على مواسم إضافية وكميات أكبر من الانتاج، والاهم على أنواع جديدة من العسل تبعاً لأنواع الزهرة، وهنا يعتبر عنصر الارتفاع عن سطح البحر عنصراً حاسماً لجهة تنوع العسل اللبناني.

كم استغرقت الدراسة؟

«بدأت عملياً مباشرة وهادف سنة ٢٠٠٢، لكنني استندت في هذا البحث العلمي الى خبرة لا تقل عن ثلاثين عاماً في مجال تربية النحل والتعاطي مع الطبيعة، فضلاً عن أن تخصصي في مجال الجغرافيا الطبيعية سهل مهمتي ايضاً، لكن خلال السنوات الثلاث الماضية تركت اهتمامي على المناطق اللبنانية كافة، بما أتاح إمكانية صدور الكتاب في جزئه الاول.»

وحول إمكانية اعتبار هذا البحث دليلاً لمربي النحل ومرجعاً علمياً لطالبي المعرفة والعلم؟ يؤكد المصري انه بمثابة «دليل»، بالإضافة الى إمكانية اعتباره مرجعاً علمياً للنحالين وكل المهتمين بموضوع البيئة والتنوع البيولوجي وأهمية النباتات. كما يعتبره مرجعاً عالمياً على مستوى دول حوض البحر الابيض المتوسط، ولذلك صدر باللغتين العربية والانكليزية. كما ان الازهار معرف عنها بأربع لغات: اللغة العلمية اللاتينية، العربية، الفرنسية والانكليزية، بما يسهل الوصول الى المعلومة المنشودة من قبل أي قارئ ومهتم في العالم.

معرفة في مصلحة الإنتاج

إذا اعتمد مربو النحل هذا التنوع الموجود على مستوى الازهار العاسلة وفترات تفتحها كم يمكن ان ينتج قفير النحل من العسل في السنة الواحدة؟ يقول المصري: «يمكن ان يحصلوا على ثلاثة مواسم على الاقل في السنة الواحدة، وأحياناً يمكنهم ان يحصلوا على نصف موسم، تبعاً لمهارته وفن نقل القفران في الاوقات المناسبة، واعتماد ما أسميته في هذه الدراسة «الفترة العاسلة الرئيسية في كل منطقة»، وهذا يتطلب منهم التعرف على الفترة العاسلة في كل منطقة التي تتغير بين عام وآخر بهامش زمني معين تبعاً للمناخ والطقس، إضافة الى ذلك يصبح في مقدورهم إنتاج أنواع محددة من العسل حسب المصادر الحقيقية، ومع الاستفادة من ازهار بساتين الليمون في جنوب لبنان يمكن ان ينتج قفير النحل الواحد ما بين ٤٠ و ٥٠ كيلوغراماً، لكن ثمة مسألة مهمة لا يمكن إغفالها حتى وان اعتمد مربو النحل هذه الطريقة، فالعام الماضي كان الموسم سيئاً بسبب ظروف الطقس ورش المبيدات الزراعية والحرائق وعوامل عديدة أخرى.»

أين تصنف العسل اللبناني؟

أخذت الدراسة، بحسب المصري، اربعة انواع من العسل وأظهرت قيمتها الطبية، ومنها عسل الخلنج وعسل الليمون، بالرغم من أن الليمون ليس نبتة بريّة، وذلك بالاستناد الى بعض المصادر العلمية. واذ يؤكد انه ليس طبيباً ولا يسمح لنفسه الدخول في هذا المجال، يؤكد ان الهدف الرئيسي من دراسات كهذه، انها تساعد لكي يصبح في مقدور مربو النحل إنتاج أنواع محددة من العسل، مصدرها أنواع معينة من الازهار، وبالتالي تكون لها قيمة غذائية وعلاجية مهمة. وهذه مسألة تبقى برسم المختصين من أطباء وباحثين لإظهار المواد المكونة للعسل. لكن بالنتيجة كل أنواع العسل مهمة شرط عدم الغش. اذاً، أصبح في مقدورنا إنتاج عشرات الانواع من العسل تبعاً لمصادر الازهار وخبرة مربو النحل لجهة معرفة المراحل الاولى لتفتح زهرة معينة موجودة بكثافة معينة في منطقة معينة.

وحسب الخطة الموضوعية من المفترض صدور الجزء الثاني بعد اربع سنوات، مع تنقيح الجزء الاول وإصداره بطبعة مزيدة ومنقحة، وستشمل الدراسة مراقبة حوالى ثلاثين منطقة من لبنان جديدة من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال والمناطق الجبلية الساحلية والداخلية.